الفصل الثامن

نظرات

فى فلسفة غاندى وأعماله

obeikandl.com

obeikandl.com

نظرات في
فلسفة غاندي وأعماله

من النادر جدًا فى التاريخ أن يبلغ أحد رعايا أمة مستعمرة ، مثل ما بلغه «جوهانداس كارمشاند غاندى» من مركز ومكانة بين معاصريه فى العالم ، فلقد كرمه الناس داخل الهند وخارجها لا بوصفه زعيمًا سياسيًا فحسب ، بل بوصفه زعيمًا فكريًا يحمل رسالة جديدة للبشر .

ولم يستطع معارضوه أنفسهم أن ينكروا عليه قوة شخصيته ، ويؤمن بعض المعجبين به بأن قوته وتأثيره مستمدان من مصادر روحية فوق العادة، وأن هذه المصادر تستعصى على التحليل ، وهذه العقيدة سواء أكان لها مبرر أم لم يكن ، ليست مما يغنينا فى هذا المقام لأننا بصدد مناقشة أهمية «غاندى» فيما يتعلق بشؤون الإنسان ، ومهما يكن منشأ نفوذه وقوة تأثيره ، فإن هذا النفوذ والتأثير كانا يعملان على مستوى الحقائق المادية ، والأحداث الطبيعية ، لهذا فإن قوة «المهاتما غاندى» يجب أن تفهم على أنها قوة بشرية .

وتكمن الأهمية الثورية لغاندى فى توفيقه إلى إطلاق الطاقة التى تنطوى عليها قوة احتمال الشعب الهندى ، وكثيرًا ما قيل إن جمهور الشعب الهندى تعوزه الطاقة وروح المبادأة ، فهم يستسلمون لمظالم أو لمشاق ما كانوا ليقفوا منها مكتوفى الأيدى لو أنهم كانوا شعبًا أكثر نشاطًا

وإيجابية ، ولقد اعتبرت سلبيتهم وقعودهم عن تغيير ما بهم ، مصدراً من مصادر الضعف . واستوى فى هذه النظرة إليهم الأصدقاء والأعداء على السواء .

وقبل ظهور «غاندى» كان المعتقد أن طابع الجماهير الهندية لا يكاد يتيح فرصة للقيام بثورة إيجابية فى الهند . ولم يحاول «غاندى» أن يتحدى الحقائق ، بل حاول أن يستخدمها فى تحقيق أغراضه ، وأن يحيل الضعف نفسه إلى مصدر من مصادر القوة . لقد قبل طابع الاستسلام للقدر الذى يتسم به الشعب الهندى ، ولكنه وجد لهذا الطابع وظيفة سياسية جديدة ، فلم يلجأ إلى القيام بعدوان عسكرى ، بل أقام حركة «عدم التعاون» التى تحولت فيها سلبية جمهور الشعب الهندى وقوة احتماله إلى مصدر للقوة والطاقة .

وقد أدت إحالة مصدر الضعف إلى مصدر للطاقة والقوة الى حدوث تغيير فى تكوين العقل الهندى ، فما كادت القوى الكامنة تطلق من عقالها ، حتى ظهر أن لدى جمهور الشعب رصيداً من الطاقة والحيوية ولم يخطر لأحد ببال .

غير أن «غاندى» لم يقنع بأحداث مثل هذا التغيير فى الهند وحدها، فقد كان يؤمن بأن له رسالة عالمية ، إذا كان يعتبر أن رسالته هى البحث عن الحقيقة . وكان يصف نشاطه فى كل النواحى بأنه تجارب يجريها للوصول إلى الحق ، وهكذا كانت محاولته لتصحيح الأوضاع الاجتماعية والسياسية فى الهند مجرد مرحلة من مراحل تجاربه التى تستهدف الوصول إلى الحق .

وكان له حافز أهم من هذا ، هو الرغبة فى استحداث مفهوم جديد

للمجتمع والدولة فى العالم ، فلقد حاول أن يوفق بين تقاليد الشعب الهندى وبين مقتضيات العصر الحديث ، وأن يجد فى هذا التوفيق حلاً لمشكلات العالم الحديث ، وتعتمد زعامته الفكرية على هذا الأساس الذى وصفه للحياة والعمل .

لقد ظهر «غاندى» فى عصر سيطرة الغرب ، التى تمخضت عن عصر التقدم العلمى الحالى ، وقد فتح هذا العصر عالمًا جديدًا ضخمًا فى إمكانياته ، أدى من الناحية المادية إلى تقدم فى الأساليب الصناعية لم يسبق إلى مثله ، وأدى فى الناحية العقلية الى نشأة المذهب العقلى الذى ساد فى القرن التاسع عشر ، وبشرنا بأنه مع انتشار التعليم ستعالج كل أدواء البشر ، وأدى من الناحية السياسية إلى الهتاف بشعارات «الديمقراطية الحرة فى الدولة القومية» ، وكانت أوروبا مليئة بالرغبة فى التوسع ، كما كانت تتسم بالخفة والمرح ، والإيمان بالعقل . وحيثما سارت أوروبا سار العالم فى أثرها .

ونحن متفقون مع بعض المفكرين الأوروبيين من أصحاب العمق والأصالة فى اعتقادهم بأن «غاندى» كان يرفض التسليم التلقائى بتفوق أوروبا وسيطرتها ، فأعلن أن الأساليب التقليدية للفكر الغربى قد أدت إلى محنة ، فكان يحاول الاهتداء إلى طريق للخلاص من ذلك المأزق السياسى والاجتماعى عن طريق إجراء تجاربه بغية الاهتداء إلى الحق .

إن السبب فى محنة أوروبا هو عجزنا عن الاستفادة من تجاربها الخاصة ، فالقرنان الثامن عشر والتاسع عشر قد علما الناس أن الحرية السياسية غالبًا ما يستخفى وراءها استبعاد اقتصادى من أشنع الأنواع . فالديمقراطية السياسية قد سمحت باستخدام الأطفال دون سن الثانية

عشرة فى أداء الأعمال الشاقة ، لمدة ست عشرة ساعة متوالية . ولم تقتصر على السماح بذلك ، بل إنها دافعت عن هذا الاستغلال وأمثاله بدعوى حرية التعاقد ، وحق الفرد فى أن يبيع عمله كما يشاء .

وتقدم رجال القانون والسياسة والطب ، بل تقدم رجال الكنيسة لتبرير هذا العمل ، على أسس قانونية وسياسية وطبية ودينية ، ومثل هذا الظلم لا يمكن أن يستمر إلى غير حد ، لهذا ارتفعت الأصوات فى أوائل القرن التاسع عشر تنادى بتحديد ما أسمى بحرية التعاقد ، وصارت الصيحة الجديدة هى أن الدولة يجب ألا تكتفى بأن تكفل للفرد صور الحرية السياسية ، بل عليها أيضًا أن تكفل له مضمون الحرية الاقتصادية .

ولقد سبق بعض ذوى العبقرية الخلقية إلى تلك الصيحة قبل القرن التاسع عشر ، لكن لم يحدث قبل ذلك القرن أن تزايد الاعتقاد بين الناس بأن الدولة لا يمكن أن تحظى بولاء الإنسان ما لم تكفل له التحرر من العوز والخوف ، وبينما كان الناس متفقين على الغاية ، فقد ظهر بينهم الاختلاف حين أخذوا يفكرون فى الوسائل المؤدية إلى تحقيق هذه الغاية . فرأى العقليون الأحرار أنه يمكن إحراز التقدم عن طريق إدخال تحسينات فى وسائل الإنتاج الحالية والتوسع العام فى التعليم ، وفى حق الانتخاب ورفض الاشتراكيون حق الفرد فى أن ينتفع على حساب المجتمع . والتمسوا تحقيق نعيم الإنسان عن طريق التطوير التدريجى للنظم الاجتماعية السائدة بحيث تقوى سلطة الدولة ، كما التمس أصحاب الفلسفة الفوضوية الفرصة لتحقيق نعيم الإنسان عن طريق إلغاء الدولة .

كل هذه الطرق فى التفكير طبعت بميسمها تكوين «غاندى» العقلى ،

فقد وجد بينها من التعارض والاختلاف ما حفزه إلى محاولة إيجاد مركب جديد يمزج بينها .

وبرزت فلسفته فى الحياة نتيجة لمحاولته أن يوفق بين هذه المطالب المتصارعة ، مع إدخال تاريخ الهند وتقاليدها فى اعتباره . لقد حاول إدماج التيارات الغربية المتصارعة بماضى الهند وظروفها ، وهذا يفسر لنا الإمكانيات الثورية فى فكر «غاندى» الاجتماعى والسياسى ، ولقد أثبتت التجارب التى مرت بنا فى العصر الحديث أنه من المحال أن نرفض الحضارة الصناعية رفضًا تامًا ، ذلك أن تطبيق العلم بما يحقق قضاء حوائجنا يساعدنا على التغلب على نواحى النقص الراجعة إلى المناخ ، وإلى عدم كفاية الموارد الطبيعية ، وقد يؤدى العلم التطبيقى فى أول الأمر إلى خدمة قلة فى المجتمع دون غيرهم ، ولكن لا مفر من أن تتسع دائرة المنتفعين .

ويستطيع فى النهاية أن يعود بالنفع على كل فرد فى العالم ، وهذا ما يحدث فى غالب الأحيان ، فالآلة فى ذاتها خادم مشترك بين بنى الإنسان ، وسوء استخدامها هو الذى يؤدى إلى الانتفاع الشخصى على حساب المجتمع ، ويؤدى حسن استخدام الآلة إلى زيادة فى الثروة المشتركة ، ويؤدى سوء استخدامها إلى تكديس الثروة فى أيد قليلة . وليس هذا هو عيب الآلة ، بل عيب الناس الذين يسيؤون إلى الناس .

وقد ذهب «غاندى» إلى حد التطرف فى نعيه على الآلة ، ولكنا لو فصلنا بين جوهر فكره وبين بعض نواحى التطرف العرضية ، وجدنا أن رأيه لا يصدر عن بغض الآلة فى ذاتها ، بل هو احتجاج على امتهان بنى الإنسان ويتضح لنا ذلك إذا أمعنا النظر فالمغزل ومضخة البترول من

الآلات بغير شك ، إنها صغيرة وتعمل بواسطة قوة الإنسان أو الحيوان .

ولكن هذا لا يغير طابعها من حيث هى آلات ، من هذا يتضح أن ما أثار شكوك «غاندى» لم يكن طبيعة الآلة ، بل طريقة استخدامها . وما لم تدخل بعض التغييرات على طبيعة المجتمع ، فهناك ما يبرر شكوكه فى استخدام الآلة على نطاق واسع ، والآلة إذا أدارها الإنسان كانت تحت سيطرته مباشرة ، ويضيق جدًا احتمال إساءة استخدامها ، أما الحال فى استخدام الآلة على نطاق واسع فيختلف عن ذلك ، إذ يستحيل الإنسان نفسه إلى ترس فى الآلة ، أو قل إنه يصير ذا طابع غير إنسانى ومع تزايد معدل الإنتاج عن طريق التوسع فى التصنيع ، تصبح عملية التصنيع فى ذاتها أكثر أهمية من الناتج أو حتى من المنتج ، فالآلة تجرد الإنسان بالتدريج من إنسانيته .

إن هذا الخطر الكامن فى التصنيع الواسع النطاق هو ما أدى «بغاندى» إلى اعتبار أن الوحدة الاجتماعية هى القرية القائمة بذاتها ، والمتمتعة باستقلال ذاتى ، وكان يعتقد أنه يجب على كل قرية أن تنظم حياتها الاقتصادية والسياسية بقدر الإمكان ، فى مثل هذه الوحدات الصغيرة تكون العلاقات الإنسانية بين الأفراد قوية ، ولا يمكن أن تحل محلها علاقات آلية وغير شخصية ، وهكذا يكون فى مجتمع القرية مجال للحرية الفردية .

وستكفل العلاقات الإنسانية فى نفس الوقت ألا تتعرض هذه المجتمعات لخطر الانحلال أو الإباحية أو الفوضوية ، والدكتاتورية المطلقة التى تقوى سلطة الدولة ، والفوضوية المطلقة التى تلغى الدولة كلتاهما محفوفة بكثير من الأخطار ، أما فى مجتمع القرية ، فالناس يستطيعون

اتقاء كلا هذين الخطرين ، وإيجاد ديمقراطية حقة .

غير أنه يجب على هذا الطراز الجديد من الحضارة البشرية أن يتفادى العيوب الكامنة فى الاقتصاد الريفى ، والمزالق التى تنطوى عليها حضارة المدن ، فالمنافسات الوضيعة والضياع الذى يحدث فى حياة القرية ، وكذلك التهامل والجدب الروحى فى حياة المدن ، كلاهما لابد من القضاء عليه ، إذا أراد الفرد أن يحقق شخصيته بكامل حجمها . فالعلاقات فى القرية شخصية ، وبين أبناء القرية ألفة تتيح لكل منهم أن يتدخل فى الحياة الخاصة بالآخرين ، والمدينة تخلو من الطابع الشخصى، وهى لا تبالى بأحد ، وتبلغ فى ذلك حد البلادة وانعدام الحس ، ولابد من اجتناب عيوب كل من القرية والمدينة إذا أريد أن تسمح الحضارة العالم فى المستقبل بأن ينمو الفرد نموًا حرًا فى مجتمع حر .

وفيما مضى كان التوسع فى الإنتاج يؤدى حتمًا إلى التوسع فى حجم المدن ، إذ أن قوة الإنسان محدودة ،لهذا احتاج إلى التجمع مع عدد كبير من الناس يمكن رفع مستوى معيشته ، ورفع مستوى المعيشة لا يتحقق بغير الاستكثار من السلع ، وهذا بدوره يعتمد على وجود التوسع فى الوحدات الإنتاجية ، وكان هذا ضربة لازب ما بقى الإنسان معتمدًا على العضلات البشرية أو الحيوانية أو قوة الماء ، أو حتى البخار بوصفه المصدر الرئيسى للطاقة ، أما اليوم فقد حلت الكهرباء محل البخار كمصدر للطاقة ، واكتشفت الطاقة الذرية وغيرها من صور الطاقة ، فلم يعد من الضرورى أن تحتشد ملايين البشر فى المدن الصناعية والأحياء الفقيرة ، فبفضل الكهرباء يمكن توزيع الصناعة على مساحة شاسعة من الأرض ويمكن العودة إلى ظروف شبيهة بالظروف التى سادت أيام الحرف

الريفية ، ويمكن إذا استخدمت بحكمة أن تمكن الإنسان من الجمع بين أرقى العناصر التى امتازت بها حضارات الريف والحضر فى الماضى ، وبفضل القوة الذرية يصير إمكان تحقيق ذلك أمرًا مؤكدًا ، وهكذا يمكن الآن الجمع بين العلاقات الإنسانية الخصبة وبين تنمية ثروة العالم ، وإذا اجتمعت الحيوية العاطفية العميقة إلى ظروف الرخاء التى ينعم بها الجميع ، أمكن إطلاق الطاقات البشرية اللازمة للقيام بمغامرات جديدة خلاقة ولعل «غاندى» قد تبين هذه الحقيقة على نحو غير واضح ، فكان هذا من العوامل التى حفزته إلى الإصرار على اللامركزية فى الصناعة وإنشاء وحدات صناعية صغيرة مستقلة .

ذلك لأن التجارب التى مرت بها الحضارة الأوروبية قد جعلت «غاندى» يدرك أهمية الاستقلال الاقتصادى للفرد ، فبدونه يصبح الاستقلال السياسى لغوًا وعبثًا ، وتغدو الديمقراطية جسمًا لا روح فيه ، كذلك رأى أن الإسراف فى تركيز الثروة يقضى على الاستقلال الاقتصادى للفرد ، ولكنه مع ذلك نتيجة تكاد تكون حتمية للإنتاج الواسع النطاق ، فى ظل الملكية الخاصة ، إلى هنا كان تحليله مطابقًا لتحليل الاشتراكيين ، لكن الحل عنده لم يكن مثل ما كان عندهم ، فالعلاج الاشتراكى كان دائمًا ـ ولم يزل ـ إلغاء الملكية الخاصة ، بينما حاول «غاندى» أن يجد الحل فى التحديد الاختيارى للثروة واتخاذ إجراءات الرقابة على تكدس الثروة ، وذلك عن طريق توزيع المصانع فى مختلف الجهات .

والفرق واضح بين حل الاشتراكيين وحل «غاندى» . فالاشتراكيون على استعداد لأن يفرضوا المساواة (السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية)

بالقوة إذا لـزم الأمر ، أما «غاندى» فكـان يعتقد أن المسـاواة ، التى هى أساس الاستقلال الاقتصادى . إنما تنال بالوسائل السلمية دون التجاء إلى العنف ، ولعل الحرية السياسية كثيرًا ما جاءت من طريق ثورات ، ويرى «غاندى» أن هـذه الحرية السيـاسية إنما أتـت بصورة الحرية لا بمـادتها . و«من حمل السيف غالبًا ما يموت بـالسيف!» وفضلاً عن ذلك فإن الثورة العنيفة معرضة دائمًا لأن تأتى على آثارها ثورة مضادة عنيفة ، ولقد فطن «غاندى» إلى هذا الخطر ، فـقال بأن الحرية الاقتصادية والسـياسية يجب بلوغها عن طريق قهر الحقد ، لأن مـا يتم عن طريق الإقناع ليس خليقًا بأن تقضى عليه القوة .

●● ●● ●●

obeikandl.com

٢.

وهكذا كان «غاندى» فى جوهره ينتمى إلى عصره ، فقد تأثر بالأفكار السائدة على أيامه ، وإن لم يكن من المواظبين على قراءة كتابات غيره من المفكرين ، لقد ورث الإيمان بالحرية الشخصية ، واعتبرها من أعظم القيم فى الحياة . وكان يعتقد مع أصحاب المذهب الفوضوى فى الفلسفة أن الدولة يجب ألا تتدخل فى شؤون الفرد إلا فى أضيق نطاق ممكن ، وكذلك كان يؤمن بالمبادئ الجماعية التى يتسم بها الفكر الاشتراكى ، ويعتقد أن الشخص لا يستطيع أن يحيا حياة إنسانية حقة دون أن يشارك غيره فيما ملك . لقد أشرب كل هذه التعاليم ، ولكنه رسم كل ما تعلمه بميسمه الخاص ، من ذلك أنه كان يؤمن بالحرية الشخصية ، لكنه كان يشعر أن الحق لا سبيل إليه إلا بأداء الواجب . وكان من دعاة اللامركزية لكن لم يكن من دعاة إلغاء الدولة ، وكان يؤمن بأن طيبات الحياة يجب أن يقتسمها الناس ، ولكنه كان يرفض الوسائل العنيفة التى كثيراً ما اتبعها الاشتراكيون لتحقيق أهدافهم ، فهو فى الواقع كان يدعو إلى التخلى الكامل عن الالتجاء إلى العنف لتحقيق أى هدف من الأهداف .

لقد كان «غاندى» ينفر من استخدام العنف ، وإن كان فى جوهره من المحاربين والمناضلين ، وحين أطلقوا على حركته «حركة المقاومة السلبية» غضب لهذا ، وأصر على أنها ليست مقاومة سلبية وأطلق عليها

اسم «ساتيجراها» Satyagrha ومعناها النزوع إلى الحق ، «ساتيا» : الحق، «جراها» معناها : الرغبة أو الحركة ، فالمقاومة السلبية فى رأيه لا تنطوى على عمل إيجابى ، بينما «ساتيا جراها» عمل إيجابى ، فهى الانبراء لتحدى الشر ومقاومته ، لكن بدون التجاء للعنف ، لأن العنف شر فى ذاته ، وهكذا كانت «ساتيا جراها» تعنى مقاومة الشر بالخير لا مواجهته بشر آخر ، وهكذا كان «غاندى» محاربًا لكن بغير طريق العنف ، فهو يؤمن بالسلام دون الاستسلام ، وبأن وسائله لا تصلح للهند وحدها ، بل تصلح كذلك للأقطار الشرقية الأخرى التى يفترض فيها سلبية الروح، بل تصلح كذلك للدول الغربية ، بما عرف عنها خلال تاريخها من طاقة وإيجابية .

لقد كان «غاندى» يشارك الغرب فى طاقته العقلية ، وعدم الصبر على الشر ، لكنه تخلى عن العنف نظرًا لفهمه لروح العصر الحديث . فهو من أول من أدركوا أن العنف لا جدوى له فى العالم الحديث ، فقد بلغ التطور العلمى فى السنوات الأخيرة مبلغًا جعل الالتجاء إلى العنف، نفعه أقل من ضرره ، وإذا لج فيه أحد تعرضت حياته للخطر . وهو إذ يقرر هذه الحقيقة فهو لا يكتفى بالاعتراف بها على نحو عقلى مجرد ، بل يجعلها من المبادئ الأساسية لسلوكه ، ولعل أهم ما أسهم به فى بناء الفكر الحديث هو الإصرار على أن شؤون الإنسان تعتمد على الاعتراف بعدم جدوى العنف .

فاعترف «غاندى» بأن الالتجاء إلى العنف لم يعد له مكان فى العالم الحديث يجعله من أول النماذج للسياسي البحت ، ومعظم الساسة ـ بصرف النظر عما يقولون ـ إنما يتصرفون على أساس مبدأ « إذا لم يسعنى

الإقناع ، لجأت إلى الإكراه » . لذلك فالالتجاء إلى القوة من الاحتمالات التى لا يستبعدها الساسة من اعتبارهم ، وهذا يصدق على ساسة البلاد الحرة والمحتلة على السواء .

ففى البلاد الحرة لا يكون لدى السياسى مانع من أن يلجأ إلى العنف، إذا لم يجد طريقًا آخر لتحقيق أغراضه . وهو كذلك مستعد لأن يلجأ إلى العنف فى فرض إرادته التى يحسبها عادة ـ وبكل إخلاص ـ إرادة بلاده ، على الأقطار الأخرى ، حتى ولو اقتضى نشوب حرب . وفى الدول المحتلة ، إذا لم يستطع السياسى أن يحصل على حريته عن طريق الاقناع ، فإنه يحاول الإطاحة بالحكومة عن طريق القيام بانقلاب عسكرى . مثل هؤلاء الساسة هم إذن عسكريون وسياسيون فى وقت واحد . أما «غاندى» فكان ينفر من الالتجاء للقوة ، ويقول : إن طريقته تقوم دائمًا وبغير تحفظ ، على التفاهم والإقناع . وهكذا كان عماد استراتيجية العمل السياسى ، وليس العمل العسكرى بحال من الأحوال لقد أراد أن يلغى الالتجاء إلى العنف ، لكنه لم ينفر من استخدام الضغط الأدبى ، والواقع أن جوهر أسلوبه هو مقاومة الشر بطريق غير عنيف .

غير أن «غاندى» لم يقف عند هذه المرحلة ، فلقد أدرك عدم جدوى العنف ، بل أدرك كذلك أن العمل السياسى نفسه محدود الأثر ، فكان من أول من أدركوا أن كثيرًا من مشكلات العالم الحديث لا تحل بالعمل السياسى وحده ، فقد أدرك أنه لابد من إزالة الشرور قبل أن يصبح إقرار السلام أمرًا ممكن التحقيق .

إزالة هذه الشرور تتطلب إزالة التوتر فى داخل الفرد ، والتوتر القائم

فى المجتمع الواحد بين شتى أفراده ، فالتوتر الدولى غالبًا ما يكون انعكاسًا للتوتر الداخلى ، كما أن التوتر فى داخل المجتمع غالبًا ما يرجع إلى التوتر فى نفسية الفرد .

وعنى «غاندى» عناية كبيرة بالفرد ، وتساءل الناس أحيانًا : كيف يستطيع رجل نيطت به مقادير الملايين ، أن يجد متسعًا من الوقت للتفكير فى الحاجات الفردية لرجال ونساء مغمورين ممن كانوا يلتمسون عنده العون والنصيحة ؟ وجواب هذا السؤال يكمن فى احترام «غاندى» للفرد ، فهو يعتقد أن كل فرد يجد حلاً لما بداخله من توتر داخلى يصبح عن هذا الطريق شخصية متكاملة ، مثل هذا الشخص يصبح مبعثًا للقوة والطاقة فيمن حوله ، ولذا حاول أن يدرب مجموعة من الرجال والنساء ممن برئت نفوسهم من التوتر الداخلى ، ليعينوا فى حل مشكلات المجتمع ، وبمجرد أن تخف حدة التوتر فى داخل المجتمع فسرعان ما تخف حدة التوتر الدولى أيضًا .

ويتجلى احترام «غاندى» للفرد أيضًا فى اهتمامه الشديد بالتربية والتدريب ، وكان يعتقد أنه لا يوجد حد لما يستطيع الفرد بلوغه عن طريق التطوير الصحيح المنظم لشخصيته ، وهذا هو السر فى أنه أولى فكرة التعليم الأساسى كثيرًا من وقته وتفكيره ، والتعليم الأساسى يهدف إلى تربية الفرد من حيث هو شخصية متكاملة ، فهو يحاول أن يقضى على الهوة بين العمل والمعرفة ، ويتناول الفرد لا باعتباره وحدة منعزلة ، بل باعتباره عضوًا فى مجتمع أو مجموعة ، ويرى الصالح الشخصى جزءًا من الصالح الاجتماعى، ولا يكتفى بتقديم معلومات له ، بل يحاول كذلك أن يستثير فيه استجابات خلاقة ، من شأنها ترقية الفرد من

حيث هو عضو فى مجتمع تعاونى .

ولقد يبدو ذلك القول متناقضًا فى نظر من لم يدرسوا فلسفة «غاندى» عن كثب ، والواقع أن موقفه فى جوهره أقرب إلى موقف العالم ، فهو ممن درسوا الحياة دراسة موضوعية ، وطريقته فى جوهرها تجريبية . ومن أسباب ذلك بحثه المستمر عن الحق . ومن أسبابه أيضًا نظرته الملهمة للتغييرات المستمرة التى تمضى دون توقف فى الفرد والمجتمع ، وهذا لا يتضح فى سيرته فى الحياة فحسب ، بل يتجلى أيضًا فى الحركات السياسية الكبرى التى إليه مرجعها ، ومما له مغزى ودلالة أنه لم يكرر حركة من الحركات مطلقًا . فكل حركة من حركاته كانت تتركز حول رمز جديد ، وتتناول قضية جديدة . ففى الفترة بين عامى ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ ، كان أساس حركته عدم التعاون ، مع عدم الالتجاء للعنف ، وفى سنة ١٩٣٠ صار «الملح» رمزًا لمعارضة الحكومة. وفى سنة ١٩٤٠ ، كان تحدى قانون الاجتماعات هو رمزه المختار ، وفى سنة ١٩٤٢ رفع شعار «أبرحوا الهند» ودعا الناس إلى تحدى كل شىء بكل قواهم ، غير أنه لم ينحرف عن مبدأ كراهية العنف ، وكانت صيحة الجهاد « اعمل أو مت » .

كان «غاندى» دائمًا يجرى التجارب لأنه كان يعرف أن تغير المواقف والظروف يتطلب تغيير الحلول ، لهذا كانت أساليبه فى تغير دائم ، وإن ظل مبدؤه الأساسى دون تغيير ، وتلك المرونة هى التى مكنت من تطبيق أساليبه على مواقف فى خارج الهند ، فقد أدرك أنه فى داخل الهند لا يمكن تكرار أسلوب بذاته تكرارًا آليًا ، فكيف يمكن نقل أساليبه برمتها ، دون تغيير ، إلى قطر آخر ، وشعب آخر؟ وبدون تدبر هذه الحقيقة ،

يخشى من أنه إذا طبق منهجه كما هو على موقف فى بلد أجنبى دون تعديل فقد يفضى ذلك إلى الشك فى صلاحية منهجه ذاته للتنفيذ . ومن جهة أخرى فإن منهجه يكتسب معنى دوليًا إذا تحكمت نظرته التجريبية والعلمية فى تطبيقه .

ومنذ بداية القرن التاسع عشر ، وبخاصة فى أواخره ، بهر الفكر الغربى المتعلمين من الهنود ، فحاولوا نقل الحضارة الأوروبية برمتها إلى بلاد الهند ، وقلما فكروا على أساس المزج والمزاوجة بين الأفكار ، لأن المزج والمزاوجة يتضمنان تبادل الأخذ والعطاء ، وكانوا يعتقدون أن الهند لا يكاد يكون لديها شىء تعطيه ، فموقفها موقف من يأخذ دون أن يعطى ، غير أن هذه الروح كانت قد تغيرت عند ظهور «غاندى» ، وعلى أى حال فقد كان «غاندى» واقعيًا لا يحاول المستحيل ، ولم يؤمن بأن الهند تستفيد إذا أصبحت قطعة من أوروبا ، لذلك حاول إحياء تقاليد الهند القديمة ، وطالب المشتغلين فى حقل السياسية بأن يكونوا فى سلوكهم وحياتهم وحديثهم وعاداتهم وملبسهم وطعامهم ومسكنهم مثالاً لسواد الأمة الهندية من الأميين الجياع العراة .

وكانت طريقته الخاصة فى الحياة لا تكاد تختلف عن طريقة الفلاح الهندى ، وما أكثر من سخروا منه داخل الهند وخارجها ، فوصفه الساخرون بالفقير العارى ، ولكن هؤلاء الساخرين لم يدركوا وقتئذ أن قراره ذلك إنما يمثل ومضة من ومضات العبقرية ، وقد استجابت جماهير الشعب له على نحو مذهل لم يسبق له مثيل ، كانوا على استعداد لأن يتبعوه حيثما قادهم ، ولكن «غاندى» كان رجلاً حريصًا ، فلم يتعجل السير ، فهو يؤمن بالتدريب ، فقادهم تدريجيًا ، وقواهم ، حتى

استطاعوا مواجهة أشق الواجبات .

ولقد ظهر «غاندى» فى وقت كان فيه النشاط السياسى فى الهند متصوراً إلى حد كبير على تقديم الالتماسات والتظلمات ، فحاول أن ينمى روح المقاومة بين الناس ، حتى يكون نذيراً إذا لم تجب مطالبهم ، وكانت صيحته الأولى أن يتغلبوا على خوفهم من الاعتقال والسجن . وإذا نحن أرجعنا البصر إلى الوراء ، وأعدنا التفكير فى هذا ، وجدنا أن تحقيق ذلك كان من هين الأمور ، فالسجن من أجل قضية سياسية ، يضفى فى الهند المعاصرة هالة من الجلال على الضحايا ، ويصعب علينا أن نذكر الآن كم كانت حياة السجن مليئة بالخوف والعار بالنسبة للهندى العادى منذ أربعين سنة !

وبمجرد اختفاء الخوف من السجن ، شعر «غاندى» أن الوقت قد حان لاتخاذ الخطوة التالية ، فحاول أن يحرر الناس من الخوف من فقد الممتلكات ، وكل ما يتضمنه ذلك من معنى ، وكانت الخطوة التالية والأخيرة لتقوية روح الأمة هى أصعب الخطوات جميعًا ، فلقد تغلب الناس على الخوف من السجن ، وتعلم كثير من الناس كيف يتغلبون على حب الممتلكات ، وظهر جيل جديد لا يخيفه نذير الفقر ، لكن نذير الموت كان شيئًا آخر ، فحاول «غاندى» أن يجرب تحويراً فى الخلق الهندى ، وأن يبدأ بأفراد مختارين ، وأخيراً ينتقل إلى الشعب من حيث هو «كل» . لهذا فإن حركته الشعبية الأخيرة التى قام بها لتحرير الهند سياسيًا كان شعارها : «اعمل أو مت» . ومما هو جدير بالملاحظة أنه حتى فى حلبة الصراع الأخير لم يقل : «اقتل أو مت» .

واهتمام «غاندى» بالتربية والتدريب يرجع إلى احترام «غاندى»

للفرد، فقد كان يؤمن بكسب الفرد إلى صفه عن طريق التفاهم والاقناع، لا عن طريق الضغط والإكراه . ويمكن اعتباره من إحدى النواحى أعظم داعية ظهر فى عصره . فقد أثبت القوة الهائلة التى يمكن أن تكون لقولة الحق والعدل على الفرد والمجموع . لهذا يمكن اعتباره إلى حد ما رائدًا من رواد الحرب النفسية ، وقد أثبت مدى ما يمكن أن يكون لهذا الحرب من آثار لو أحسن استخدامها ، غير أنه قيد دعايته بقيد واحد ، هو عدم الالتجاء إلى الكذب أو إلى الحقيقة النصفية ، وقد كان يؤمن أن الكذب هو أعظم الشرور التى تعود بالضرر على مخترع الأكذوبة وسامعها على السواء ، لقد كان يحاول إضعاف الروح المعنوية عند معارضيه بالتوجه إلى حاسة الحق عنده ، وبالاحتفاظ لنفسه بالعناء ، فقد أصر على ألا يؤذى عمله كرامة معارضيه بأية حال ، ومن الجلى أن هذا الدستور الخلقى المتحضر ، إنما صار ممكن التحقيق بسبب إيمانه بأن معارضه هو أيضًا كائن خلقى .

ولعلنا نستطيع أن نمضى قدمًا فنقول : إن غاندى لم يكن يحترم خصومه فحسب ، بل كان أيضًا يحبهم ، فمعارضتهم له لم تبعث فيه مطلقًا حقدًا ولا مرارة ، فعنده أنه هو وكل معارضيه يبحثون جميعًا عن الحقيقة وإنما ينشأ الحقد حين لا يدرك الشخص ذلك تمام الإدراك . لكن طالما كان البحث خالصًا لوجه الحقيقة ، فإن الاختلافات يمكن حلها ، ولا ينبغى أن يكون هناك حقد أو مرارة . وهذا الإيمان يفسر لنا ما جبل عليه «غاندى» من جرأة ومن تسامح ، كان جريئًا لا يخاف شيئًا ، لإيمانه بأن الحق لابد أن ينتصر ، وأن حياته الخاصة قليلة الأهمية ، وكان عامر القلب بالتسامح ، لأنه كان يعتبر معارضه زميلاً له فى البحث المشترك عن الحقيقة .

٣.

لم يكن «غاندى» فيلسوفًا نظريًا ، بل كان فى جوهره رجل عمل ، ولم يحدث مطلقًا أن طلب إلى أحد من الناس أن يصنع شيئًا مما يجفل هو عن صنعه بنفسه ، وكان أحيانًا يطالب الناس بأمور صعبة ، اعتقادًا منه أنه ما دام قد استطاع عن طريق التدريب وترويض النفس أن يقوم بهذه الأمور فليس للآخرين مبرر فى ألا يفعلوا مثلما يفعل ، فالتدريب والترويض الذاتى شيئان جوهريان فى تحقيق الهدف ، وعنده أن أول واجبات المصلح أن يبدأ بإصلاح التعليم ، وما أصدقه حين يفرق بين التربية والتعليم ، حيث يقول: إن التربية هى الاستجابة الخلاقة من الفرد للبيئة التى يجد فيها نفسه ، بينما التعليم هو التزود بالمعرفة أو الإلمام بالوسائل الفنية . وهذا تمييز لا بأس به على وجه العموم ، لكنه لا ينبغى أن يؤدى إلى أى إهمال للتعليم .

إن التعليم شىء لابد منه ، إذ بدون المعلومات لا يمكن استثارة الاستجابات الصحيحة عند الإنسان ، وهناك مثل واحد : كيف يستطيع الطفل أن يستجيب الاستجابة الصحيحة لأجنبى ، إذا كان التعليم الذى تلقاه يبعث فيه الكراهية أو الاحتقار للشعوب الأجنبية ، ولو أن تدريس التاريخ والجغرافيا قد تغيرت وجهتهما ، فبدلاً من الإسراف فى العناية بالمصادمات بين المجتمعات والأفراد والأمم ، انصرفت عنايتهما إلى قصة التعاون الواسع المدى بين البشر خلال العصور ، فإن هذا لن يضع أساسًا

لتربية الخلق والابتكار فقط ؛ بل لتحقيق التفاهم الدولى .

وكان «غاندى» يعتقد أن تطبيق المبادئ يجب أن يتدرج فى مراحل من السهل إلى الصعب ، ومن البسيط إلى المركب ، ونظريته القائلة بأن الغايات ينبغى أن تتحقق عن طريق التفاهم والإقناع ، بدلاً من القهر والإكراه ، هذه النظرية ينبغى أن تطبق أولاً على حل المنازعات بين الأفراد وبمجرد نجاح المبدأ فى الحالات الفردية ، يمكننا بالتدريج أن نوسع مجال تطبيقه . ولهذا مزية هى أن نكسب المران والثقة بالنفس ، بفضل علاجنا لحالات أكثر سهولة فى المراحل الأولى . ولقد حاول «غاندى» نفسه أن يصلح الفرد لكى يصلح المجتمع ، وأن يصلح المجتمع لكى تصلح الأمة ، وأن يصلح الأمة لكى يصلح العالم .

وبمجرد أن تكتسب الخبرة والثقة عن طريق النجاح فى تناول المسائل الفردية الكثيرة ، فإن الخطوة التالية يمكن أن تكون تطبيق المبدأ لحل التوترات الداخلية فى المجتمع . وهناك مجالات فسيحة لتطبيق ذلك ، مثل :

(أ) مشكلات العمال .

(ب) النزاع بين الأقليات أو المجتمعات فى داخل الأمة ، فمثل هذه المشكلات يجب علاجها قبل تطبيق المبادئ والأساليب على أصعب الميادين جميعًا ، وهو ميدان العلاقات الإنسانية ، أعنى ميدان صراع المصالح بين دولة وأخرى ، وعلى الصعيد الدولى إن الشعب فى داخل دولة واحدة يكون أكثر تجانسًا ، وأقدر على التفاهم ، بحيث إن تطبيق هذه الأساليب يكون أسهل وأجدر بالنجاح . وثمة سبب آخر لوجوب البدء بعلاج التوترات فى داخل المجتمع هو أنه إذا لم ينجح الإقناع ،

أمكن الالتجاء إلى القانون ، أو إلى حكم محايد ، والالتجاء للقانون أو التحكيم أسهل ما يكون فى حالة الأفـراد ، لكنه يمكن تطبيقه أيضًا على المنظمات والمـؤسسات فى داخل الدولة ، والواقـع أن من أبرز التطورات فى الأزمنة الحـديثة التوسـع المستمـر فى تطبيق الـقانون والتحكـيم على المنازعات الـتى تخص الجماعـات والمنظمات فى داخـل الدولة ، ولنا أن ننتظر ، مع تزايـد الوعى بالمصلحة العامـة ، أن تدرك الأمم عدم جدوى الالتجاء إلى العـنف ، وبزيادة قوة الأمم المتحدة سيـأتى فى القريب يوم يصير فيه التحكيم عن طريق محايد هو النظام الشائع بين الدول أيضًا .

وتعنى بمبـادئ «غاندى» أيضًا بتعزيـز خطط الخدمات الاجتمـاعية . سواء على المـستوى القومى أو الـدولى ، إذا كان المعروف أن كثـيرًا من التوتر فى داخل الـفرد ، وفى داخل المجتمع ، إنما ينشـأ عن الإحساس بخيبـة الأمل ، ويرجع الشعور بالخيـبة إلى أن الناس لا يجدون متـنفسًا لطاقاتـهم الخلاقة ، ذلك أن الأفـراد المنهمكين فى عـمل مثمـر يكونون سعـداء ، وهذا يصدق أيضًـا على المجتـمعات والـدول ، وإذا أمكن أن تطبق على نطاق واسع تلك البرامج الإنشائية التى تتيح لطاقات الناس أن تستـخدم استخـدامًا نافعًا ، تحـققت بذلك فـائدة مزدوجة . فمـن جهة تستـخدم طاقـات الأفراد والأمم فى برامج خـلاقة ، ولا تدع وقـتًا ولا فرصة لأن تطبق لتحقيق غايات غير اجتماعية أو منافية لحاجات المجتمع. ومن جهة أخرى ، فإن الثورة والرخاء اللذين يتحققان عن هذا الطريق ، سيعاونان علـى رفع مستوى حياة الناس ، وإزالة الشعـور الأليم بالحاجة ذلك الشعور الذى يولد الكراهيـة بين الأفراد والأمم ، ومثل هذه البرامج الاجتمـاعية من شأنـها أن تعين على تخـفيف حدة التـوتر داخل الأفراد وداخل الأمة ، وعن طـريق التوسع فى تطبـيق هذا المبدأ يمكن تخـفيف

حدة التوتر بين الأمم .

ويقتضى مثل هذا البرنامج أن تقدم كل المعونات من دولة إلى أخرى عن طريق الوكالات الدولية . فالمعونة الثنائية لابد أن تثير الشك ، حتى ولو لم تكن معونة مشروطة . وإننا لنذكر المثل القديم القائل : « إذا استدنت من صديق خسرته ! » ولا يقتصر الأمر على أن تقدم المعونة عن طريق الأمم المتحدة ، بل ينبغى على الأمم المتحدة أن تعد برنامجًا واسعًا جدًا للمعونة الدولية ، والتقدم العالمى ، ومثل هذه البرامج خليق بأن يداوى كثيرًا من الجروح والرضوض التى خلفتها الحروب ، وإنا لنذكر فى هذا الصدد ذلك المثل الرائع الذى ضربه العمال الفرنسيون الذين ذهبوا إلى ألمانيا ، والعمال الألمان الذين ذهبوا إلى فرنسا لإعادة بناء ما خربته الحرب من مدارس ومستشفيات ، ويجب أن تجرى برامج التعمير هذه على نطاق أوسع ، بل ينبغى أن تنفذ بطريقة جماعية بواسطة الأمم المتحدة . وعدم التساوى بين الأفراد والأمم من أسباب التوتر والكراهية . ففى داخل الأمة تحاول الدولة تقليل الفوارق عن طريق الضرائب التصاعدية .

وعلى هذا النحو تنشأ عقيدة «الحدود» التى تقرر حدود الميدان الذى يستطيع الأفراد داخل نطاقه أن يعملوا فى حرية دون أن يسمح لهم بتجاوز هذا النطاق ، والاتصالات المتزايدة بين الأمم تتطلب تطبيق نظام شبيه بهذا فيما بينهم ، حتى تختفى الفوارق الصارخة الموجودة الآن .

إن الدول التى فرضت نظام الحدود على مواطنيها قد كفلت لهم ضرورات الحياة ، فهى تقدم التعليم العام ، وعندها المؤسسات الصحية للعناية بصحة الشعب وإدارات العمل لترعى شؤون المتعطلين ، وهناك برنامج لكفالة الراحة للجميع ، وحتى فى الأقطار غير الاشتراكية يتزايد

ضيق الهـوة التى تفصل الأغنياء عن الـفقراء . لهذا ينبغـى أن تتدبر هل حان الوقت لتطبيق هذا المبدأ على الأمم أو لا ؟

وقد تحاول الأمم المتـحدة أن تقرر مسـتويات دنيا ـ مسـتويات يجب كفـالتها لكـل الناس ـ ويكون هذا إذا لزم الأمـر بإقناع الأمم الغنـية بأن تتقاسم مع الدول الفقيرة ما فاض مـن ثروتها . وهناك ميادين يمكن فيها تنفيذ ذلـك بسهولة ، وهناك مناطق فـى العالم فيها فـائض من الغذاء ، بينمـا يموت أناس جوعًا فى مناطـق أخرى ، وتستطيع الأمم المـتحدة أن تقوم بـتوزيع الفائـض فى المناطق الفقـيرة ، ويوجد الـيوم فى كثـير من الأقطار نقص خطير فى كمية الورق . لذلك لا يمكن فى هذه البلاد طبع الكتـب النافـعة ، وحين نـوقشت هـذه المسألـة فى اليـونسكو ظـهر أن الولايات المتحدة وحدها تستطيع أن تفى بـجزء كبير من حاجة العالم من الورق بشرط واحد هو أن تقل صحف يوم الأحد بمعدل ١٠٪ وليس فى هذا خسارة محسوسة للشعب الأمريكى . وأما نفعها للعالم فى مجموعه فعظيم جدًا .

ومن عجيب الأمر فى عصرنا الحديـث أنه كلما تقاربت أجزاء العالم بفضل التقدم «التكنولوجى» أمعـنت الدول فى وضع القيود المختلفة على السفر ، وتتـزايد صعوبة نقل السلع بـسبب شتى للقيـود ، ويترتب على ذلك أنه برغم الزيادة الضخمة فى إنتاج السلع فإنه توجد مناطق محرومة من الحد الأدنى من احتـياجاتها ، ومن جهة أخـرى فهناك بلاد لا تدرى ماذا تصنع بفوائض السلع عندها .

إن حرية التـجارة قد تساعد عـلى تقليل مثل هذه الـفوارق ، ولكن مثل هذا الاقتراح من شأنه أن يثير معارضة قوية من جانب ذوى المصلحة الشخصية فى بقاء الحال على ما هى عليه .

غير أنه يمكن البدء فى ذلك عن طريق تيسير وسائل السفر ، ولا يوجد مبرر سليم لبقاء قيود السفر والمواصلات . والدفاع الوحيد عن بقاء هذه القيود هو أنها من مستلزمات الأمن الداخلى ، لكننا نجد برغم القيود والسدود التى يبتكرها الإنسان ، أن الناس الذين تخشى الدولة من دخولهم أراضيها يدخلون فى العادة ، وأن الذين تريد أن تستبقيهم فى داخلها كثيراً ما يخرجون ، فجوازات السفر وتأشيرات الدخول لم تنجح فى الحيلولة دون دخول الجواسيس والعملاء والمهربين الدوليين ، وأما الذى ترهقه هذه القيود فهو المسافر حسن النية ، الذى ترهقه تعقيدات الجمارك واشتراطات الدخول وتأشيرات الخروج وقيود العملة وجوازات السفر ، وتخفيف قيود السفر والمواصلات ، كخطوة أولى نحو الإلغاء النهائى لكل قيود تحرك الناس والسلع ، يعتبر من التطورات المترتبة على قبول مبادئ «غاندى» ، ولعلها تكون الخطوة الأولى نحو تطبيقها على المشكلات الدولية .

والمطالبة بتسهيل السفر والمواصلات قد تبدو شيئًا عديم الأهمية ، لكنه فى الواقع سيكون خطوة واسعة إلى الأمام ، وقد يكون حلاً ناجحًا للتوترات الداخلية ، لأن تزايد السفر معناه تزايد الصلات الشخصية والصداقات بين الناس فى شتى البقاع ، وقلة الاتصال بين الأمم من أهم أسباب ما ينشأ بينهما من أحقاد ، وقد تعلمنا من خبرتنا العامة أن ما هو مألوف يقبله الإنسان بسهولة ، ونقص الألفة من أسباب كراهية الناس للأجانب وارتيابهم فيهم ، أما إذا تحقق الاتصال بين الأفراد ، فإنهم يتعارفون كأناس لهم خصائص الإنسان وأخطاؤه ، أما قبل هذا الاتصال فالناس ينظرون إلى الأجانب نظرتهم إلى المخلوقات الأخرى ، ومن الطبيعى أن يفكر الناس فى الجوانب على أسس مجردة ، وما أسهل ما

يمقت الناس التجريدات ، لكنهم لا يمقتون الأفراد بهذه السهولة وكلما اتصل الناس بعضهم ببعض وزالت بينهم الحدود ، زادت إمكانية خلق تفاهم دولى وتقليل التوترات عن طريق إيجاد علاقات شخصية بين أفراد شتى الأمم .

وثمة مجال آخر لتطبيق سياسة «غاندى» على مشكلات التوتر الدولى، هو تنظيم جبهة للشعوب المحبة للسلام . ويجب أن تقبل فى عضويتها كل شخص يقبل أهدافها دون شك أو تحفظ ، ولا يشترط لقبول العضو إلا شرطان : **الأول** : أن الأمم التى تحاول الانضمام إلى جبهة السلام يجب أن تتخلى عن الدعاية لكراهة أى قطر آخر ، إن حقها فى النقد قائم ، ولكن يجب أن تتخلى عن حق الإقذاع والفحش . ففى الوقت الحاضر غالبًا ما تتحول الدعاية إلى تشهير . واستبعاد التشهير والكراهية هما الدليل الوحيد على النوايا السلمية للدولة .

والشرط الثانى : أن الدول التى تريد الانضمام إلى جبهة السلام هذه يجب أن تسمح بتداول صحيفة محايدة تصدرها الجبهة ، وهذه الصحيفة تنشر الحقائق بطريقة موضوعية ، فمن الصعوبات القائمة فى عالم اليوم، أن الناس لا يستطيعون الوصول إلى الحقائق ، فكثير من الصحف تنشر أنباء مثيرة لتزيد من انتشار الصحيفة ، ناسية أن كل الأنباء المثيرة تميل إلى توليد الأحقاد ، كما أن الأنباء يتناولها التشويه لصالح مجموعات خاصة، والصحيفة الموضوعية والمحايدة تكون أداة قوية جدًا لمحاربة الأحقاد وخدمة السلام ، ويمكن أن تصدر الصحيفة برعاية الأمم المتحدة، وللتأكد من موضوعيتها ينبغى أن يحررها مجلس تحرير دولى . وكل الحقائق يجب أن تذكر ، لكن بدون حقد ولا عنف . وحيث تختلف الآراء بشأن ما هو حق ، فإن مختلف الآراء ينبغى أن ينشر جنبًا

إلى جنب بدون تعليق ومع استبعاد كل تحيز شخصى بقدر الامكان .

ولقد يمكن أن نسأل هذا السؤال : كيف يمكن تمويل مثل هذه الصحيفة ؟ بديهى أنها لا يمكن أن تعتمد على المعونات من الدول القومية ، أو حتى على الإعلانات لأن هذا من شأنه أن يحد من حريتها . كما أنها لا يمكن أن تنتظر انتشارًا واسعًا فى البداية . إنها يمكن أن تنشر تحت رعاية الأمم المتحدة من حصيلة رسم ضئيل يفرض على من ينضمون إلى جبهة السلام .

إن رسم اشتراك الأمة فى هيئة الأمم المتحدة قد لا يزيد عن ١٪ من ميزانيتها القومية ، فإذا خصص ١٪ من هذا الاشتراك للصحيفة المقترحة كان فى هذه الكفاية ، ولما كانت لا توجد دولة تعترف بأنها محبة للحرب ، أو ذات ميول عدوانية ، فغالب الظن أن كل الدول ستنضم إلى الجبهة وتسمح بتداول الصحيفة فى أراضيها . وقد لا يبدو هذا من الاقتراحات التى تأخذ بمجامع القلوب والأبصار ، لكن لا يكاد يوجد شك فى أن تنفيذ هذا الاقتراح ، يزيل أحد الأسباب الكبرى لما يسود دول العالم من شكوك وأحقاد .

لقد كان «غاندى» يؤمن بالفرد ،كذلك كان يؤمن بأن البداية الصغيرة يمكن أن تفضى إلى نتائج كبيرة ، لهذا فإن المنهج السياسى لغاندى ملائم بنوع خاص ، لأن تنفذه مجموعات صغيرة ، وعن طريق برامج متواضعة فى أول الأمر ، وكان «غاندى» يعتقد أن الوسائل مهمة كأهمية الغايات، وإن حفنة من الناس يستطيعون تغيير مجرى التاريخ عن طريق تطبيق الأساليب النظيفة الفنية ، على أن كل هذه التغييرات يجب أن تبدأ فى مملكة الروح وأن تتسق مع مثل الحق ، لا لأن الحق دون سواه هو ما ينتصر فى نهاية الأمر ، بل لأن النصر لن تكون له قيمة إذا أمكن فرضًا أن يأتى عن طريق الباطل .